مجلة كلية العلوم الإسلامية
المجلد السادس العدد الحادي عشر ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

سياقات العطاء في القرآن الكريم
- دراسة تحليلية-

م.م.خليل محمود حسين النمشة (*)

ملخص البحث

يقوم بحثنا الموسوم (**سياقات العطاء في القرآن الكريم**) على دراسة ما يتعلق بها من مفاهيم والفاظ، وقد اعتمد الباحث على تحليل الآية وذكر أقوال المفسرين حيث تناول البحث قضايا عدة فجاء المبحث الأول ليسلط الضوء على عطاء الله عز وجل والمبحث الثاني تضمن عطاء العباد للعباد وبيان أنواعه وشروطه والمبحث الثالث كان وقوفاً على نوع من العطاء الغيبي وهو العطاء الآخروي في حين تناول الباحث في المبحث الرابع مسألة علاقة التقوى بالرزق والعطاء..الخ كما هو موضح في ثنايا البحث.

(*) مدرس مساعد في قسم التربية الإسلامية، كلية التربية الأساسية، جامعة الموصل.

سياقات العطاء في القرآن الكريم
- دراسة تحليلية-
م.م.خليل محمود حسين النمشة

ABSTRACT

The research entitled (Modes of Giving in Holy Koran) built upon the concepts and terms of giving. The researcher depended on Ayah analyses and interpreters among other things. The first section sheds lights on divine giving, the second section is giving between subjects, its types and conditions. The third section is the forth coming giving (that is the after life giving). The fourth part, last but not least deals with the relation between obedience and giving , etc…as will the reader deduct.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الامين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن القرآن الكريم كتاب الله المعجز دستور هذه الأمة المباركة، وقد جاء هذا الدستور تبياناً لكل شيء يهم الانسان في الحياة، في كل زمان ومكان، قال تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ ﴿النحل: ٨٩ ﴾ .

ومن أهم المسائل التي أولاها الشرع الإسلامي عناية كبيرة مسالة رزق العباد في الحياة الدنيا، والعطاء المستمر لأسباب الحياة، ولهذا وجدنا المفسرين والفقهاء،

أولوا هذه المسالة عناية فائقة في مظانهم، ذلك أن من مكامن قوة الأمة، قوة اقتصادها الذي سينعكس حتماً على الحالة النفسية والمادية للأفراد.

ومن هنا وقع الاختيار على موضوع **(سياقات العطاء في القرآن الكريم)** الرافد الذي يستقي منه الفقهاء قواعدهم في هذا المجال إلى جانب السنة النبوية الشريفة، فضلاً عن كون العطاء أحد مصادر الرزق في حياة الفرد.

وقد تضمنت مادة البحث تمهيدا وأربعة مباحث، فقد تناولت في التمهيد تعريف العطاء مع بيان مفهوم الفاظ العطاء في القرآن الكريم وجاء المبحث الأول ليسلط الضوء على عطاء الله عز وجل وتضمن المبحث الثاني عطاء العباد للعباد وبيان انواعه وصوره وشروطه ثم المبحث الثالث كان تبياناً لنوع آخر من العطاء وهو العطاء الغيبي (الأخروي) وما اعده الله لعباده المؤمنين في حين تناول المبحث الرابع علاقة العطاء والرزق بالتقوى اذ ان القرآن الكريم في قسم من آياته قد بين أن من اسباب تيسير الرزق الطاعةَ والاستغفارَ وانه ليس هناك علاقة بين محبة الله عبده وبين بسط الرزق.

وختم البحث بجملة نتائج توصل إليها.

واخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الانبياء والمرسلين.

التمهيد

العطاء: مفهومه – ألفاظه في القرآن الكريم

أولاً: العطاء لغة

إن المتتبع لمعنى (العطاء) في معجماتنا العربية قديمها وحديثها، يجده –أي المعنى– لا يخرج عن مفهوم مناولة الشيء، ونقله من ملكية إلى أخرى.

والعطاء مشتق من الجذر الثلاثي المعتل (عطو)، وهو اصل واحد صحيح يدل على أخذ ومناولة، لا يخرج الباب عنهما، فالعطو: التناول باليد، قال أمرؤ القيس[١]:

وعطو برخصٍ غير شيء كأنه   أساريع ظبي أو مساويك إسحلِ[٢]

يصف المرأة أنها تسوك: والظبي: يعطو، وذلك إذا رفع يديه متطاولاً إلى الشجرة ليتناول الورق .. ومنه اشتق: الإعطاء، والمعاطاة: المناولة، ويقال: عاطى الصبي أهله إذا عمل لهم وناول ما أرادوا، والعطاء: اسم لما يعطى وهي العطية، والجمع عطايا، وجمع العطايا: أعطية، ويقولون: ان التعاطي: تناول ما ليس له بحق، يقال: فلأن يتعاطى ظلم فلان، وفي كتاب الله تعالى: ﴿ **فَتَعَاطَى فَعَقَرَ** ﴾ ﴿سورة القمر: ٢٩ ﴾ ، ومن أمثال العرب: عاطٍ بغير أنواط[٣]، أي: انه يسمو إلى الامر، ولا آلة له عنده، كالذي يتعلق ولا متعلق له[٤]، وهكذا فالجذر اللغوي لهذه اللفظة –كما أثبته ابن فارس– يدل على مناولة وأخذ، ومن اشتقاقاته: المعطي، وهو اسم الفاعل من أعطى، ورجل معطاء، أي كثير العطاء[٥]، قال الراغب الاصبهاني:

(الإعطاء: الإنالة ﴿ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ ﴿سورة التوبة: ٢٩ ﴾ واختص العطية والعطاء بالصلة)[٦].

ومن الالفاظ الدالة على معنى العطاء أو مفهوم العطاء (رزق) و (أنعم) و (هب)، فضلاً عن لفظة (أعطى) التي سبق بيان دلالتها، وكل هذه الألفاظ استخدمها التعبير القرآني في إشاراته إلى هذا المفهوم، وسنفصل القول فيها في مواضعها المخصوصة ان شاء الله تعالى.

وتجدر الاشارة في هذا المقام، ان هذه الأفعال تتعلق بـ (توحيد الربوبية) أو بأفعال الربوبية، وبين هذه الألفاظ الدالة على (العطاء) اشتراك في المفهوم العام، وعلاقة تدخل ضمن ما سمي عند علماء المعاني، وأهل اللفظ بالعام والخاص.

ثانياً: ألفاظه في القرآن:

إن المتتبع لمفهوم (العطاء) أو (الإعطاء) في القرآن الكريم، يجده قد جاء بالفاظ أخرى غير لفظة (أعطى) وتصاريفها.

فمن الألفاظ التي عدت في هذا المعنى (رزق)، وهو أكثر ألفاظ العطاء وروداً في القرآن الكريم، إذ ورد في أكثر من (١٢٠) مائة وعشرين موضعاً في القرآن الكريم وبصيغ مختلفة[٧].

والرزق في اللغة يعني العطاء في وقت، وهو (أصل واحد يدل على عطاءٍ لوقتٍ، ثم يحمل عليه غير الموقوت، فالرزق: عطاء الله جل ثناؤه، ويقال رزقه الله رزقاً، والاسم الرزق، والرزق بلغة أزد شنوءة: الشكر، من قوله جل ثناؤه: ﴿ **وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ** ﴾ ﴿ سورة الواقعة: ٨٢ ﴾، وفعلت ذلك لما رزقتني، أي: لما شكرتني)[٨]، وهذا يعني ان الرزق يطلق على العطاء الذي يقدم في وقت معين، كأن يكون وقت

الغداء أو الفطور، يقال: لما رزقه قدم لي رزقاً، أي أكرمني شيئاً ما عند زيارتي، ثم توسعت الدلالة، فشملت كل عطاء يقدم (دنيوياً كان أم أخروياً، وللنصيب تارة، ولما يصل إلى الجوف، ويتغذى به تارة، يقال: أعطى السلطان رزق الجند، ورزقت علماً، قال تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ ﴾ ﴿سورة المنافقون: ١٠﴾ أي: من المال والجاه والعلم، وكذلك قوله:﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ ﴿ سورة البقرة: ٣ ﴾ ،﴿ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ ﴿ سورة البقرة: ٥٧ ﴾ ، وقوله تعالى:﴿ فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ ﴾ ﴿ سورة الكهف: ١٩ ﴾ أي بطعام يتغذى به، وقوله تعالى:﴿ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ {١٠} رِزْقًا لِّلْعِبَادِ ﴾ ﴿ سورة ق: ١٠-١١ ﴾ ، قيل المعنى: الأغذية، ويمكن ان يحمل على العموم فيما يؤكل ويلبس ويستعمل، وكل ذلك مما يخرج من الارضين، وقد قبضه الله بما ينزله من السماء من الماء. وقال في العطاء الأخروي ﴿ وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ ﴿ سورة آل عمران: ١٦٩ ﴾ أي: يفيض الله عليهم النعم الأخروية، وكذلك قوله:﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ ﴿ سورة مريم: ٦٢ ﴾)[٩]، ومن هذا كله نخلص إلى أن لفظة (رزق) من حيث الدلالة اشمل وأعم من الألفاظ الأخرى وهي -أي الألفاظ الأخرى- داخلة تحته.

واللفظ الآخر من ألفاظ العطاء في القرآن الكريم هو لفظ (أنعم)، وقد ورد في أكثر من (٧٥) خمسة وسبعين موضعاً وبصيغ مختلفة، مضافاً على الله تارة، والى غير الله تارة أخرى[١٠]، و (أنعم) رباعي مشتق من الجذر الثلاثي (نعم) وهو اصل واحد (يدل على ترفه وطيب عيش وصلاح، ومنه النعمة، ما يُنعم الله تعالى على عبده به من مال وعيش، يقال: لله تعالى عليه نعمة، والنعمة: المنة، وكذا النعماء، والنَّعمة: التنعم وطيب العيش، قال الله تعالى: ﴿ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴾ ﴿سورة

الدخان: ٢٧ ﴾)[١١]، فالإنعام من معاني العطاء، الا انه خاص بالجانب الإيجابي، وهو النعمة والتنعم، في حين ان الرزق والعطاء قد يكون نزراً قليلاً ويسمى نعمة، قال الراغب: (النعمة: الحالة الحسنة، وبناء النعمة: بناء الحالة التي يكون عليها الإنسان كالجلسة والركبة، والنعمة: التنعم وبناؤها: بناء المرّة من الفعل كالضربة والشتيمة، والنعمة للجنس تقال للكثير والقليل، قال تعالى: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا﴾ ﴿ سورة ابراهيم: ٣٤ ﴾ و﴿ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾ ﴿سورة البقرة: ٤٠﴾ .. إلى غير ذلك من الآيات، والإنعام: ايصال الإحسان إلى الغير، ولا يقال: إلا إذا كان الموصَل إليه من جنس الناطقين، فإنه لا يقال: أنعم فلان على فرسه، قال تعالى ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ ﴿ سورة الاحزاب: ٣٧ ﴾)[١٢].

ومن الالفاظ الأخرى المعبرة عن العطاء (وهب)، وهو جذر ثلاثي له اصول، لا يقاس بعضها على بعض، ومن معانيه: أعطى وأوصل الشيء إلى غيره، يقال: (وهبت الشيء أهبهُ هبة)[١٣] وقد ورد في القرآن الكريم في خمسة وعشرين موضعاً، ويزيد قليلاً[١٤]. بصيغ مختلفة، ومسندة الى الله تعالى، قال الراغب: (الهبة ان تجعل ملكك لغيرك بغير عوض، يقال: وهبته هبة وموهبة وموهباً، قال تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ﴾ ﴿سورة الانعام: ٨٤ ﴾ ، ﴿ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ﴾ ﴿سورة ابراهيم: ٣٩ ﴾ ،﴿ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لاهَبَ لَكِ غُلامًا زَكِيًّا ﴾ ﴿سورة مريم: ١٩﴾ فَنَسَبَ المَلك إلى نفسه الهبة لما كان سبباً في إيصالها إليها، وقد قرئ: ﴿ لِيَهبَ لَكِ ﴾[١٥] فنسب إلى الله تعالى، فهذا على الحقيقة، والأول على التوسع، ويوصف الله تعالى بالواهب والوهاب، بمعنى انه يعطي كلاً على استحقاقه)[١٦].

ومما يلحظ في معنى (وهب) انه مرادف للفظ (أعطى)، الا ان الاستخدام القرآني لهذا اللفظ (وهبَ) في معظمه جاء هبة (الولد).

هذا استعراض عام لالفاظ العطاء في القرآن الكريم والافعال الدالة عليه، وقد لُوحظَ ان اكثرها استخداماً هو (رزق)، ثم يأتي بعده (أنعم)، ثم (وهب) ثم (أعطى)، وجميعها تتضمن معنى العطاء، على ان هناك فروقات بين هذه الافعال حددها السياق، فضلاً عن المعنى المعجمي.

المبحث الأول

عطاء اللّه

من خلال الوقوف على الفاظ العطاء في السياق القرآني نرى ان عطاء الله سبحانه وتعالى قد ورد في موضعين وبجهد الامكان نشير الى معاني وتفاسير وسياق هذين الموضعين فالأول قد ورد بصيغة الفعل الماضي وهو قول الله تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ ﴿سورة طه:٥٠ ﴾. والثاني بصيغة المصدر في قوله تعالى: ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ ﴿سورة ص:٥٠ ﴾.

المعنى العام وما يستنبط من الآية:

من القواعد المهمة التي قررتها العقيدة الإسلامية كون الله تعالى وحده هو مقدر الاقدار، وخالق الاسباب ومبدؤها، وهو الرزاق وحده، وغيره المرزوق وكل هذه من أسس توحيد الربوبية، وقد اتخذه الله حجة على المشركين، قال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ فَذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴾ ﴿يونس: ٣١، ٣٢ ﴾.

وفي هاتين الآيتين محاججة للمشركين الذين جعلوا مع الله إلهاً آخر، وقد استخدم التعبير القرآني مجموعة من افانين القول، وطرق التوصيل البلاغي، فقوله: (قل) أمر حقيقي وفيه إرشاد لرسوله (ﷺ) في كيفية المحاججة[١٧]، والاستفهام في الآية استفهام تقريري، ومن فوائده المستقاة والتي أوصى بها ذلك الاستفهام، إلجاء المشركين المخاطبين في هذه الآية بما تقره عقولهم، إذ انهم كانوا يقرون في ضمائرهم، ويقتنعون بقلوبهم ان الرازق هو الله وحده، ولا رازق غيره وأن الذي أنشأ السمع والابصار والأفئدة هو الله وحده، وأن مدبر الأمر في السماوات والأرض هو الله وحده سبحانه، فلما كانوا مقرين بذلك كله، فحري بهم أن يتقوا الله وحده ويفردوه بالعبادة[١٨]، قال تعالى: ﴿أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ﴾ ﴿سورة النمل: ٦٤ ﴾ وكذلك قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ ﴿ سورة فاطر: ٣ ﴾.

والغاية من ذلك كله إلفات لعقول المشركين المأفونة بدنس الشرك إلى حقيقة وحدانية الله سبحانه والذي يتصف بذلك ويملك ذلك أحق ان يُعبد، وأحق ان يتقى.

وهناك مسألة مهمة ينبغي ذكرها في هذا المقام، وهي كون الله سبحانه هو المتفرد برزق العباد عاقلهم وحيوانهم، مؤمنهم وكافرهم، قال تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ ﴿سورة هود: ٦ ﴾. وفي الآية قصر بالنفي زائداً الاستثناء، و(الدابة) هنا شاملة للإنسان والحيوان، وهي اسم فاعل، فكل من اتصف بصفة الدبيب على وجه البسيطة يدخل تحتها[١٩].

وقد عبر الأسلوب القرآني -كما ذكرت سابقاً- عن عطاء الله تعالى، بالفعل (أنعم) أو إحدى مشتقاته، من ذلك قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَةَ اللّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴾ ﴿ سورة ابراهيم: ٢٧-٢٨﴾ ، وقال تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَؤُوسًا ﴾ ﴿ سورة الاسراء: ٨٣ ﴾ ، وقال تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ ﴿ سورة الانفال: ٥٣ ﴾.

والملاحظ في هذه الآيات سياقاتها المتعددة التي جاءت مصورة حال اقوام أيا كانوا، في حال نعمة الله عليهم، فقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَةَ اللّهِ كُفْرًا﴾ استفهام خرج إلى معنى التعجيب والفات نظر رسول الله (ﷺ)، والمراد بنعمة الله تعالى هنا إما الهداية والإسلام، أو النعم من السلطة والمال والبنين، إذ أنها غالباً ما تكون سبباً إلى الكفر والإنحراف[٢٠]، فهؤلاء الكبراء اعرضوا عن دين الله الحق الإسلام، أو استخدموا نعمة المال والجاه فيما يسخط الله، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ ﴿ سورة الانفال: ٣٦ ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿

وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ أي ادخلوا قومهم جهنم، ونسب الإحلال إليهم لكونهم سبباً في دخولهم النار(٢١).

والمتتبع لسياقات ورود لفظ الفعل (أنعم) أو (النعمة) في القرآن الكريم يجدها قد جاءت في معانٍ مختلفة، فتارة يراد بها نعمة الدين، كما قال تعالى: ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ ﴾ ﴿ سورة الفاتحة: ٧ ﴾ وقوله: ﴿قَالَ رَجُلاَنِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُواْ عَلَيْهِمُ الْبَابَ ﴾ ﴿ سورة المائدة: ٢٣ ﴾ وقوله:﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ ﴾ ﴿ سورة مريم: ٥٨ ﴾ وأخرى يراد بها نعمة الدين مع نعمة التمكين في الدين، قال تعالى ﴿ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿ سورة البقرة: ٤٧ ﴾ ، وتارة آخرى يراد بها نعمة المال أو جنس النعمة، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ ﴾ ﴿ سورة فصلت: ٥١ ﴾.

وفي موضع أخر نجد التعبير القرآني قد أشار الى مفهوم (العطاء) بالفعل (أعطى) أو بالمصدر (العطاء)، قال تعالى:﴿ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾ ﴿ سورة طه: ٥٠ ﴾والآية جزء من سياق قصة موسى (عليه السلام) مع فرعون في سورة (طه)، فبعد ان امتثل موسى وأخوه هارون لامر الله تعالى لمواجهة فرعون وملأه، إذ قابلاه وخاطباه بقولهما:﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولا إِنَّا رَسُولا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى {٤٧} إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ ﴿ سورة طه: ٥٠ ﴾ ، وهنا يبادرهم فرعون بالسؤال منكرا : ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَى﴾ ﴿ سورة طه: ٤٧، ٤٨ ﴾ فيرد عليه

موسى مجيباً بذكر صفة من صفات الله تعالى، وهي إعطاء الخلق واستكماله: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾.

(عن ابن عباس: خلق لكل شيء زوجة، وقال الضحاك عن ابن عباس: جعل الإنسان إنساناً والحمار حماراً والشاة شاة، وقال الليث بن أبي سليم عن مجاهد: أعطى كل شيء صورته، وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد: سوّى خلق كل دابة، وقال سعيد بن أبي جبير في قوله: ﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾، قال: أعطى كل ذي خلق ما يصلحه من خلقه، ولم يجعل للإنسان من خلق الدابة، ولا الدابة من خلق الكلب، ولا الكلب من خلق الشاة، وأعطى كل شيء ما ينبغي له من النكاح، وهيأ كل شيء على ذلك، ليس شيء منها يشبه شيئاً من افعاله في الخلق والرزق والنكاح، وقال بعض المفسرين: ﴿ أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ كقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ ﴿ سورة الاعلى: ٣ ﴾ ، أي قدّر قدراً وهدى الخلائق اليه، أي كتب الاعمال والآجال والارزاق، ثم الخلائق ماشون على ذلك لا يحيدون عنه، ولا يقدر أحد على الخروج منه، يقول: ربنا الذي خلق الخلق، وقدر القدر وجبل الخليقة على ما اراد)[٢٢].

وقول ابن عباس ومجاهد هو الموافق لقراءة (خَلَقَهُ) أي اعطى كل شيء صورته وافرغه في مسلاخه الخليق به بما نيط به من خصائص ومنافع.

وقول سعيد بن ابي جبير هو الموافق لقراءة (خلْقه) أي خليقته (وهي جمع خلائق) أي كل شيء يحتاجون اليه[٢٣]، وقيل ان اختلاف المعنيين تابع لاختلافهم في تعيين المفعولين فعلى اعتبار ان المفعول الاول هو (خلْقه) كان المعنى:- اعطى خليقته كل شيء يحتاجون اليه وهو الموافق لقول سعيد بن ابي جبير.

وقيل أن اختلاف المعنيين تابع لاختلاف العلماء في اعراب (خلْقه) فعلى اعتبار ان (خلْقَه) مفعول اول كان المعنى: اعطى خليقته كل شيء يحتاجون اليه وهو الموافق لقول سعيد بن جبير.

وعلى اعتبار انّ (خلْقه) مفعول ثان، كان المعنى:- اعطى كل شيء صورته وشكله الذي يطابق المنفعة المنوطة به او يناسب كماله الممكن أي اعطى كل شيء في الوجود ما يناسبه في الصورة والشكل[٢٤].

والمقصود من هذه الآية ان الله تعالى وضع نواميس الكون، وقدّر مقاديره، وزرع اسباب الحياة وديمومتها فيه، وأحسن خلقه، كما قال تعالى: ﴿ **الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ** ﴾ ﴿ سورة السجدة: ٧ ﴾ وقوله سبحانه: ﴿ **قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ {٩} وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاء لِّلسَّائِلِينَ {١٠} ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ اِئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ {١١} فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاء أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ** ﴾ ﴿ سورة فصلت: ٩-١٢ ﴾، وقد اتفقت أقوال المفسرين على ان معنى قوله تعالى: ﴿ **أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ** ﴾ أي استكمل خلق عناصر هذا الكون فخلق الرجل للمرأة والذكر من سائر الحيوانات والحشرات للانثى، والسماء مستقرة بأفلاكها، والأرض بخزائنها المدحوة فيها، وجعل هذا الكون مسخراً للإنسان، يكمل بعضه بعضاً، وهكذا[٢٥].

ومما يلمح من بلاغة القرآن في هذه الآية ومن اسلوبه المعجز تناسب الإجابة مع سؤال فرعون الجاحد لصانع الكون القدير العزيز سبحانه، ذلك أن فرعون ألّه

نفسه، وزعم انه الإله الأوحد لهذا الكون وهؤلاء البشر، فكانت إجابة موسى (عليه السلام): ﴿ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ فدحضت تلك الإجابة اباطيل فرعون (عليه اللعنة) أي: ربنا الذي ابدع كل شيء، وأحسن خلقه وهداه الى اسباب ديمومته، والهداية في الآية هداية عامة[٢٦].

فاسلوب الايجاز في الآية اعطى معانٍ لا تنحصر، وحذف جُملاً كثيرة يذهب العقل في تقديرها كل مذهب، من المخلوقات الحية وغير الحية، العاقلة وغير العاقلة التي خلقها الله ولكل منها عمله الميسر له[٢٧] وانما حذف مفعول (هدى) لتقدم ما يشير اليه[٢٨].

كما ان في الآية تعريضاً بفرعون وكذبه، على اعتبار ان الرب الحق سبحانه قد خلق هذا الكون، وغرس فيه أسباب ديمومته، فهو حري بان يوحد ويعبد، وأما أنت فكاذب لانك مخلوق تافه لا تملك أمر حياتك فكيف تملك أمر غيرك؟.

وقوله تعالى ﴿ **هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾ ﴿ سورة ص: ٣٩ ﴾ فقد اختلف المفسرون في المعنى المقصود بهذا العطاء على اقوال:-

القول الأول: - الملك الذي لا ينبغي لأحد من بعده بتسخير الريح والجن، فعلى هذا يكون معنى (أمنن أو أمسك بغير حساب) وجهان:

الأول: امنن على من شئت باطلاقه أو أمسك من شئت منهم في عمله من غير حرج عليك فيما فعلت بهم.

الثاني: أعط من شئت من الناس وامنع من شئت منهم[٢٩]

القول الثاني: قيل إنّ سليمان قال عن هذا العطاء:- أُوتينا ما أُوتي الناس وما لم يؤتوا، وعلمنا ما علم الناس وما لم يعلموا.

القول الثالث: - أن العطاء هنا هو القوة على النكاح، فقد رُويَ أنّ سليمان كان في ظهره مئة رجل وكان له ثلاثمئة امرأة وسبعمئة سرية، فقال الله له:- هذا عطاؤنا من القوة في النكاح، فامنن بجماع من تشاء من نساءك أو أمسك عن جماع من تشاء من نساءك، ويكون معنى بغير حساب:- اما بغير مؤاخذة فيمن جامعت او عزلت، او بغير عدد محصور فيمن آسْتَجْمعتَ او نكحت[٣٠] ويكون معنى (فامنن):- من المنيّ، يقال:- أمني بمني، ومنى يمني، لغتان، فاذا أمرت من أمنى قلت:- أمن، ومن منى: آمن، فاذا أكّدته بنون خفيفة قلت: امننْ[٣١]

اما قوله •بغير حساب) ففيه أوجه:-

احدها:- انه متعلّق (بعطاؤنا) أي أعطاه الله بغير حساب ولا تقدير، وهو دلالة على كثرة العطاء[٣٢] وقيل ان في الكلام تقديماً وتأخيراً وهو:- هذا عطاؤنا بغير حساب فامنن أو أمسك[٣٣] وهذا الوجه قد رُدّ بوجود الفاصل بين المتعلَّق بغير حساب) والمتعلَّق (عطاؤنا) وهذا الفاصل هو (فامنن او أمسك)[٣٤].

الثاني:- انه حال من عطاؤنا أي في حال كونه غير محاسب عليه لانه جمٌّ كثير يعسر على الحُسَّاب ضبطُهُ[٣٥] والحقيقة ان معنى التكثير مستفاد من الإضافة لانها للتعظيم[٣٦] والتكثير حتماً.

الثالث:- انه متعلق بـ(امنن أو أمسك)[٣٧] وقد رُدَّ تعلّقه بـ(أمسك) لأنه لا يقال:- امسكتُ بغير حساب[٣٨]

والذي يظهر ان العطاء هنا هو الملك والسلطان[٣٩] وهو المعبّر عنه بتسخير الريح والجن، وهو مقتضى القول الاول، لأنَّه القدّر المشترك بين أهل التفسير، وليس عليه اعتراض من حيث اللغة والاشتقاق والسياق، ولأن الله تعالى انما سلّط

سليمان على الجن ليعلم الناس أنهم خلْق من خلْق الله، لا قدرة لهم على شيء، ولا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً، فلا معنى للخوف منهم، او عبادتهم، ثم ان الآيات كانت تتحدث عن الشياطين وخضوعها لأمر سليمان كذلك الريح تجري بأمره، وهذا الشيئان هما أولى الاقوال بالعطاء، لأن سليمان طلبهما من ربّه، وان يكون له امتياز فيهما.

وأوهن الأقوال هو القول بأن العطاء هنا هو القوة في الجماع لأنه فيه عدول عن الظاهر وادّعاء مضمر بغير دليل[٤٠] أما القول الثاني... وما نُقل عن سليمان انه قال:- (اوتينا ما أُوتي الناس وما لم..الخ) فيأْباه السّياق اذ كيف يُقال بعد ذلك: (فامنن أو أمسك بغير حساب) فان كان الُمعطى هنا النبوة واحكام الشرع فالتبليغ واجب على الانبياء، وان كان المعنى هو المال او غيره، فالتسوية بين الرعية واجبة في الأُعطيات، خاصة من نبي من انبياء الله.

ومثل هذا يقال في (اعط من شئت من الناس وامنع من شئت منهم) لأنّ المنع ليس من خُلُق الانبياء، ثم إنّ (بغير حساب) لا يتعلق بـ(أمسك) لانه لا يقال:- أمسكت بغير حساب بل يتعلق بـ(امنن) فقط[٤١] فعلى هذا انتفاء الحساب غير منفي عن الامساك، فيدُهُ مطْلقة في المنّ، والمراد بـ(المن) هنا هو الإعطاء على سبيل الاستعارة[٤٢]

وخلاصة الأمر في هذا ان الله سبحانه هو المعطي الاول، والموجد الأول ومقدر الأقدار، ومنشئ الاسباب، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، منه الأمر، واليه يرجع : ﴿ **وَمَا تَشَاؤُونَ إِلا أَن يَشَاء اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾ ﴿ سورة التكوير: ٢٩ ﴾.

المبحث الثاني

عطاء العباد للعباد

والآيات التي عبرت عن هذا المعنى، باستخدام الفعل الصريح (أعطى)، قوله تعالى:﴿فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ ﴿الليل: ٥-٧ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ ﴿ سورة التوبة: ٥٨ ﴾ .

سبب النزول

ذهب المفسرون إلى أن قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَن أَعْطَى﴾ نزل في أبي بكر الصديق ﷺ، قال القرطبي: (قال ابن مسعود: يعني ابا بكر ﷺ وقاله عامة المفسرين، فروي عن عامر بن عبد الله بن الزبير، قال: كان ابو بكر يعتق على الإسلام عجائز ونساء، قال: فقال له ابوه أبو قحافة: أي بني لو أنك اعتقت رجالاً جُلداً يمنعونك ويقومون معك؟ فقال: يا أبت إنما أريد ما أريد)[٤٣].

وأما قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ فقد (قيل إنها نزلت في أبي الجواظ المنافق، فقال: الا ترون إلى صاحبكم إنما يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم ويزعم انه يعدل؟ وقيل: في ابن ذي الخويصرة رأس الخوارج، كان رسول الله ﷺ يقسم غنائم حنين، فاستعطف قلوب أهل مكة بتوفير الغنائم عليهم، فقال: اعدل يا رسول الله، فقال: ويلك ان لم أعدل فمن يعدل؟)[٤٤].

المعنى العام وما يستنبط من الآية:

ان المتتبع لآيات العطاء في القرآن الكريم، يجدها قد عبرت في قسم من مواضعها عن (عطاء العباد للعباد) وبخاصة في جانب الطاعة والإنفاق في سبيل الله تعالى.

وقد استخدم التعبير القرآني الأفعال (رزق) و (أعطى) إضافة على (أنفق)، ومما يلاحظ في هذا المقام أن استخدام الفعل (أنفق) جاء بنسبة أكبر مقارنة مع الفعلين الآخرين.

قال تعالى في سياق الحديث عن صفات المؤمنين المتقين: ﴿ **الم ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ** ﴾ ﴿ سورة البقرة: ١-٣ ﴾.

بعد ان صُدِّر هذا السياق بوصف حقيقة القرآن الكريم، وكونه هادياً للمتقين، شرع البيان القرآني بذكر مجموعة من صفاتهم التي قرنها بعضها إلى بعض، وهي الإيمان بالغيب وإقامة الصلاة والإنفاق في سبيل الله، وهذه الصفات متلازمة، ومترابطة في شخصية المؤمن المتقي، واحداها مؤدية إلى الأخرى، والإيمان بالغيب من أخص صفات المؤمن، ذلك أنه يقتضي الإيمان بكل ما اخبرنا الله سبحانه وتعالى من أمور أخروية أو دنيوية غابت عنا وعن ادراكنا، وهي توقيفية متلقاة عن طريق القرآن الكريم وعن طريق رسول الله ﷺ ومنها الإيمان بالحساب ويوم القيامة، وبالجنة ونعيمها، وبالنار وعذابها، والملائكة والجن والوحي، وغيرها[٤٥]، والذي يؤمن

بالغيب حري به ان يقيم الصلاة حق إقامتها، كما يدفعه ذلك إلى الإنفاق في سبيل الله وابتغاء مرضاته، خوفاً من العقاب في الآخرة وطمعاً في الجنة[٤٦].

ومما يلحظ في هذه الآية تعريف المتقين بـ (الاسم الموصول) (الذين)، مما يشير إلى ان ابرز صفة في أولئك الموصوفين في تلك الآية هي الإيمان بالغيب وإقامة الصلاة والإنفاق في سبيل الله.

وفي آية أخرى ترى التعبير القرآني يبين السبل المثلى في الإنفاق في سبيل الله والتي يرتضيها الله سبحانه وتعالى، إذ قال جل من قائل: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاء النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ** ﴾ ﴿ سورة البقرة: ٢٦٤ ﴾.

في هذه الآية الكريمة إرشاد للمؤمنين، ووعظ لهم، وتبيين لكيفية الحفاظ على أعمالهم الصالحة في الإنفاق في سبيل الله، إذ نهاهم الله تعالى عن إبطال أجور أعمالهم الانفاقية وصدقاتهم بالمن والاذى، والمقصود بهما: المنّ على المتصدَّق عليه وايذاؤه عن طريق تعييره بفقره، وتذكيره بفضل المتصدَّق عليه[٤٧]، وقد شبه المنّان المؤذي بصدقته وأجره بصفوان:- وهو الحجر الأملس، وذلك الحجر عليه طبقة رقيقة من التراب لا تكاد تثبت أو تمسك نفسها، هذا الصفوان اصابه المطر الشديد، فأزال ما عليه من التراب، وتركه أملس، كذلك أجر المرائي المنفق الذي لا يكاد يثبت، فبمجرد أدنى فتنة أو اختبار يزول أجره.

لذلك قال تعالى في حق المؤمنين المخلصين: ﴿ **الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ثُمَّ لاَ يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُواُ مَنًّا وَلاَ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ**

يَحْزَنُونَ﴾ ﴿البقرة: ٢٦٢ ﴾ وليس ذلك فحسب، بل المؤمن مدعو لأن ينفق من طيب أمواله، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَلاَ تَيَمَّمُواْ الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ ﴿ سورة البقرة: ٢٦٧ ﴾ والمقصود بالطيبات هنا، هو الكسب الحلال[٤٨]، وربما يُقصد به المال ذو الصفات الجيدة نحو الحبوب أو ما شابه ذلك.

ومن الالفاظ التي عبر القرآن الكريم بواسطتها عن عطاء العباد للعباد –كما ذكرت– (أرزق) قال تعالى: ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُوْلُواْ الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا ﴾ ﴿ سورة النساء: ٨ ﴾.

كما عبر البيان القرآني عن عطاء العباد للعباد بـ(تصدقوا، أصدق)، قال تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ﴿ سورة البقرة: ٢٨٠ ﴾ ، وقال في موضع أخر: ﴿ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ ﴿ سورة المنافقون: ١٠ ﴾ ، والصاد والدال والقاف: (أصل يدل على قوة في الشيء قولاً وغيره)[٤٩] وربما سمي المال الذي يخرجه صاحبه طلباً للأجر ولمرضاة الله بالصدقة، لانه يكشف عن صدق صاحبه في الاعتقاد والقول، ولذلك اطلقت الصدقة على كل: (ما يخرجه الإنسان من ماله على وجه القربة، كالزكاة، لكن الصدقة في الاصل تقال للمتطوع به، والزكاة للواجب)[٥٠].

ومما له صلة بالصدقة قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ﴾ ﴿ سورة الليل: ٥–٧ ﴾. والآية جزء من سياق تحدث عن صنفي الناس المؤمن والكافر، فبعد أن أقسم الله تعالى بالليل وقت غشيانه الخلائق، والنهار

في حالة تجليه، جاء جواب القسم ليكشف عن انقسام الناس إلى صنفين: ﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ﴾ ﴿سورة الليل: ٤ ﴾ ، أي ان سعيكم لمتنوع، فمنكم من يسعى سعي المؤمنين الذين يطلبون رضا الله تعالى ويرومون الفوز بجنانه(٥١)، وهم المنفقون في سبيل الله، ومنكم من يسعى سعي النقيض.

قال القرطبي: (قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى﴾ قال ابن مسعود: يعني أبا بكر ﷺ، وقاله عامة المفسرين، فروي عن عامر بن عبد الله بن الزبير قال: كان أبو بكر يعتق على الإسلام عجائز ونساء، قال: فقال له أبوه (ابو قحافة): لو أنك اعتقت رجالاً جلداً يمنعونك ويقومون معك؟ فقال: يا أبت إنما أريد ما أريد. وعن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَن أَعْطَى ﴾ أي بذل و ﴿ اتَّقَى﴾ أي محارم الله التي نهى عنها)(٥٢) (فسنيسره لليسرى)، وفي الآية حذف مفعولي (أعطى) ومفعول (اتقى)، ومن بلاغة الحذف في هذه الآية ان البيان القرآني حذف مفعولي (أعطى) لأنه أراد ان يبرز الصفة المهمة في شخصية الإنسان المؤمن وهي الانفاق في سبيل الله، ولم يقصد التركيز على ذكر المنفق، أي انه اراد إبراز الصفة وليس متعلقات الصفة، وكذلك ليشير على ان الله تعالى يقبل الصدقة وان كانت نزرة يسيرة، ما دام المنفق أراد وجه الله تعالى.

ومن بلاغة الآية الاسلوب الخبري الخارج الى المدح بالعطف بذكر قيود وشروط الانفاق، ناهيك عن اسلوب التوكيد، حيث ان فيه حثاً على الصدقة وترغيباً فيها.

هذه بعض أوجه عطاء العباد للعباد في القرآن الكريم، وتلك قسم من ألفاظه، وقد تبين ان الإنفاق في سبيل الله ركن ركين من عقيدة المسلم المؤمن الموحد لا

يمكن تجزئته عن عرى الاسلام، وعمل أساسي يجب على المؤمن ان يقوم به بوصفه جزءاً من أعمال المسلم الظاهرة، فإذا لم يمتلك المال، فليساعد الناس في شؤونهم، أو ليمسك اذاه عنهم، فهو جزء من الإنفاق.

المبحث الثالث

عطاء الله الأخروي

ثمة آيات ثلاث عبرت باستخدام الفعل الصريح (أعطى) أو أحد تصاريفه، عن عطاء الله الأخروي، اثنتان في حق رسول الله ﷺ وهما: قوله تعالى:﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ ﴿ سورة الكوثر: ١ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ ﴿ سورة الضحى: ٥ ﴾. والأخرى في حق المؤمنين بعامة، وهي قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ ﴿ سورة هود: ١٠٨ ﴾.

المعنى العام وما يستنبط من الآيات:

يمثل الإيمان بالحياة الأخرى ركناً اساسياً في العقيدة الإسلامية، والمتأمل في آيات القرآن الكريم بهذا الخصوص يجدها تحدثت عن تلك الحياة وافاضت في تصويرها على اعتبار أنها الحياة الحقيقية الباقية الخالدة.

وثمة محاور جاءت فيها تلك الآيات، إذ تحدث قسم من هذه الآيات عن ما اعده الله تعالى للأنبياء دعاة هداية البشر، وبخاصة سيدهم وخاتمهم محمداً ﷺ، وفضلاً عن الأنبياء ثمة محور آخر جاء متحدثاً عما أعده الله تعالى للمؤمنين الموحدين أوليائه.

ففي إحدى آيات سورة (الضحى) خاطب الله سبحانه نبيه ﷺ إذ قال: ﴿ **وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى وَلَلأخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الأولَى وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى** ﴾ ﴿ سورة الضحى: ١-٤ ﴾ يروى ان سبب نزول هذه الآية قول المشركين وإشاعتهم ان الله سبحانه قد تخلى عن رسوله ﷺ وتركه، إذ ان الوحي قد انقطع عنه مدة من الزمن، فنزلت هذه الآية تسلية لرسول الله ﷺ داحضة مزاعم المشركين، ومفندة اقوالهم[٥٣].

وفي الآيات يقسم الله سبحانه بآيتين كونيتين من آياته، هما وقت الضحى ووقت الليل في حالة سكونه، وبينهما طباق -كما يقول علماء البلاغة- إذ ان في (الضحى) تكون الحركة والنشاط على أوجه، في حين ان وقت الليل يطبق السكون، ويخيم الهدوء على الخلائق[٥٤]،

ومما يلحظ في قوله سبحانه: ﴿ **وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى**﴾ مجموعة من الظواهر الفنية والبلاغية، منها اسلوب التوكيد بـ (لام التوكيد) و (سوف)، مما يدل على حقيقة حصول الوعد، فعطاء الله آتٍ لا محالة كما ان الضحى آتٍ بعد ظلمة الليل، ونزلت هذه الآيات في وسط ظلمات استهزاء المشركين وضغطهم النفسي على رسول الله في فترة انقطاع الوحي. فضلاً عن حذف المفعول الثاني لـ(يعطيك)، ومن إيحاءات هذا الحذف الاطلاق، أي إطلاق حصول (الشيء المُعْطَى) واستغراقه

لكل ما يتمنى الرسول ﷺ[٥٥]، وهو عطاء خاص لرسول الله ﷺ من بين سائر الانبياء.

ومن الاشياء التي وُعِد بها رسول الله ﷺ (الكوثر)، قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ ﴿ سورة الكوثر: ١﴾.

قال القرطبي: الكوثر: فوعل، مثل النوفل من النفل، والجوهر من الجهر، والعرب تسمي كلَّ شي كثير العدد والقدر والخطر كوثراً، قال سفيان: قيل لعجوز رجع ابنها من السفر: بِمَ آبَ ابنك؟ قالت: بكوثر، أي بمال كثير، والكوثر من الرجال: السيد الكثير الخير.

والكوثر: العدد الكثير من الاصحاب والاشياع، والكوثر من الغبار: الكثير، وقد تكوثر: إذا كثر.. واختلف اهل التأويل في الكوثر للنبي ﷺ على ستة عشر قولاً، الأول: انه نهر في الجنة، رواه البخاري عن انس والترمذي[٥٦]، وروى الترمذي ايضاً عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: (الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب، ومجراه على الدر والياقوت، تربته اطيب من المسك، وماؤه أحلى من العسل، وابيض من الثلج)[٥٧]، وفي صحيح مسلم عن انس قال: (بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه مبتسماً، فقلنا: ما اضحكك يا رسول الله ﷺ؟ قال: نزلت عليَّ آنفاً سورة، فقرأ: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ ثم قال: اتدرون ما الكوثر؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه نهر وعدنيه ربي –عز وجل– عليه خير، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد النجوم، فيختلج العبد منهم، فاقول: انه من أمتي، فيقال: انك لا تدري ما احدث بعدك)[٥٨] والاخبار في حوضه ﷺ في الموقف كثيرة، ذكرناها في كتاب التذكرة، وان على اركانه الاربعة خلفاءه الأربعة –رضوان

الله عليهم– وان من ابغض واحداً منهم لم يسقه الآخر، وذكرنا هناك من يطرد عنه فمن اراد الوقوف على ذلك تأمله هناك، ثم يجوز ان يسمى ذلك النهر أو الحوض كوثراً لكثرة الواردة والشاربة من أمة محمد ﷺ هناك، ويسمى به لما فيه من الخير الكثير والماء الكثير.

ومما يلحظ في تركيب الآية استعمالها أداة التوكيد (إنّ)، والتعبير عن حدث مستقبلي سيقع بصيغة الماضي (أعطيناك)، وفي ذلك دلالة على حتمية وقوع المخبر به، بل وكأنه وقع فعلاً[٥٩].

وفي موضع آخر نجد التعبير القرآني قد تحدث عما اعده الله تعالى لانبيائه في الآخرة، بعد ان أكرمهم في الدنيا، إذ قال تعالى: ﴿ **أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَن خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا**﴾ ﴿ سورة مريم: ٥٨ ﴾ وقال أيضاً: ﴿ **وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا**﴾ ﴿ سورة النساء: ٦٩ ﴾ .

هذا ما يتعلق بعطاء الله تعالى لانبيائه في الآخرة، وأما ما يخص إكرام الله عباده المؤمنين في يوم القيامة، فقد قال تعالى في سياق الحديث عن انقسام الناس إلى فريقين يوم القيامة:﴿ **يوْمَ يَأْتِ لاَ تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُواْ فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّمَا شَاء رَبُّكَ عَطَاء غَيْرَمَجْذُوذٍ** ﴾ ﴿ سورة هود: ١٠٥–١٠٨ ﴾.

إنها النهاية التي وعد بها الله تعالى الناس يوم القيامة، إذ سينقسم العباد إلى فريقين الاشقياء والسعداء، فأما عطاء الله للفريق الأول ونزله لهم ﴿ **فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ**﴾ إنها الحالة المأساوية التعسة لاولئك الكفار، وهو العدل الإلهي – سبحانه– فهؤلاء اعرضوا عن منهج الله، واختاروا طريق الكفر، فكانت عاقبتهم النار خالدين فيها، في حين يكون مصير المؤمنين الموحدين ﴿ **فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذٍ** ﴾، قال الطبري في تفسيره: (واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء المدينة والحجاز والبصرة وبضع من الكوفيين ﴿ **وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُواْ** ﴾ (سعدوا) بفتح السين، وقرأ ذلك جماعة من قراء الكوفة، و ﴿ **وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُواْ** ﴾ (سعدوا) بضم السين، بمعنى رزقوا السعادة، والصواب من القول في ذلك: انهما قراءتان معروفتان، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب، فإن قال قائل: وكيف قيل (سعدوا) فيما لم يسم فاعله، ولم تقل (أسعدوا) وانت لا تقول في الخبر فيما سمي فاعله:– سعده الله، بل إنما تقول: اسعده الله؟ قيل ذلك نظير قولهم:– هو مجنون محبوب فيما لم يسم فاعله، فإذا سموا فاعله، قيل: أجنه الله وأحبه، والعرب تفعل ذلك كثيراً، وتأويل ذلك:– وأما الذين سعدوا برحمة الله فهم في الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض يقول ابداً إلا ما شاء ربك، فاختلف أهل التأويل في معنى ذلك، فقال بعضهم: ﴿ **إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ** ﴾ من قدر ما مكثوا في النار قبل دخولهم الجنة، قالوا وذلك فيمن اخرج من النار من المؤمنين فادخل الجنة.. وقال آخرون: معنى ذلك إلا ما شاء ربك من الزيادة على قدر مدة دوام السماوات والارض، قالوا وذلك هو الخلود فيها ابداً، وأختلف اهل العربية في وجه الاستثناء في هذا الموضع، فقال بعضهم في ذلك معنيان احدهما

ان تجعله استثناء يستثنيه ولا يفعله، كقولك: والله لأضربنك إلا ان ارى غير ذلك، وعزمك على ضربه، والقول الآخر ان العرب إذا استثنت شيئاً كثيراً مع مثله، ومع ما هو أكثر منه كان معنى (إلا) ومعنى الواو (سوى)، فمن ذلك قوله: خالدين فيها ما دامت السموات والأرض سوى ما شاء الله من زيادة الخلود، فيجعل (إلا) مكان (سوى) فيصلح، وكأنه قال خالدين ما دامت السماوات والارض سوى ما زادهم من الخلود والابد، ومثله في الكلام: ان تقول: لي عليك ألف إلا الألفين الذين قبله، وأولى الاقوال في ذلك عندي بالصواب القول الذي ذكرته عن الضحاك وهو (وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السماوات والارض إلا ما شاء ربك) من قدر مكثهم في النار من لدن دخولها إلى ان ادخلوا الجنة، وتكون الآية معناها الخصوص لأن الأشهر من كلام العرب في (إلا) توجيهها على معنى الاستثناء، وإخراج معنى ما بعدها مما قبلها، إلاّ ان يكون معها دلالة تدل على خلاف ذلك، ولا دلالة في الكلام، اعني في قوله تعالى: ﴿ **إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ** ﴾ تدل على ان معناها غير معنى الاستثناء المفهوم في الكلام فيوجه اليه)(٦٠).

وقوله (﴿**عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذٍ**﴾ أي يعطيهم الله عطاء غير مجذوذ، والمجذوذ المقطوع من جذه يجذه إذا قطعه والمعنى انه ممتد الى النهاية)(٦١) وذلك مثل قوله تعالى: ﴿ **وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ** ﴾ ﴿سورة الواقعة: ٣٢-٣٣﴾ وفي موضع آخر نجد البيان القرآني تحدث عن رزق أهل الجنة في أوقاته: ﴿ **لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلا سَلامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا** ﴾ ﴿سورة مريم: ٦٢﴾.

هذه صورة موجزة عن العطاء الاخروي بجانبيه، النعيم والجنة، والعذاب والنار، ومن سمات هذا العطاء أنه دائم مستمر كما أنّ الحياة الآخرة دائمة مستقرة، بخلاف العطاء الدنيوي المنقطع بموت الإنسان أو زوال الدنيا.

المبحث الرابع

العطاء والتقوى

من البدهيات التي قررتها الشريعة الإسلامية، وعقيدة التوحيد، والآيات القرآنية، انه ليس من علاقة تلازمية ثابتة بين الرزق والتقوى والطاعة، والمقصود بهذه العلاقة ان الإيمان والكفر قد لا يكونان بالضرورة سبباً في حصول رزق أو منعه، وهي ليست قاعدة مطردة، فكفر الكافر لا يعني ان الله سيقطع عنه الرزق، قال تعالى: ﴿ **كُلاًّ نُّمِدُّ هَـؤُلاء وَهَـؤُلاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاء رَبِّكَ مَحْظُورًا** ﴾ ﴿ سورة الاسراء: ٢٠ ﴾.

قال الطبري:(ان الله تعالى: يمد كلا الفريقين من مريدي العاجلة ومريدي الآخرة، الساعي لها سعيها وهو مؤمن في هذه الدنيا من عطائه، فيرزقهما جميعاً من رزقه على بلوغهما الأمد واستيفائهما الأجل ما كتب لهما، ثم تختلف بهما الأحوال بعد الممات، وتفترق بهما بعد ورود المصادر، ففريق مريدي العاجلة إلى جهنم مصيرهم، وفريق مريدي الآخرة إلى الجنة مآبهم، ﴿ **وَمَا كَانَ عَطَاء رَبِّكَ**

مَحْظُورًا﴾ وما كان عطاء ربك الذي يؤتيه من يشاء من خلقه في الدنيا ممنوعاً عمن بسطه عليه ولا يقدر أحد من خلقه منعه من ذلك وآتاه الله إياه، وان الله عز وجل قسم الدنيا بين البر والفاجر والآخرة خصوصاً عند ربك للمتقين)[٦٢]، ولهذا فقد انكر الله تعالى على من يعتقد ان الله تعالى عند بسطه رزقه له فقد اكرمه، والعكس كذلك، إذ قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا الأنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ كَلا بَل لا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ ﴿ سورة الفجر: ١٥-١٧ ﴾ بل ان القرآن الكريم في بعض الآيات صرح ان الله تعالى قد يبسط الرزق للفاجر استدراجاً له، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلنَآ إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ فَلَوْلا إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ ﴿ سورة الانعام: ٤٢-٤٤ ﴾ ، ولهذا يجب على ذي العقل السليم والراجح ان لا يغتر بالرزق وبسطه، ويجعله علامة على رضا الله.

إلا أن من المفيد ذكره في هذا المقام، ان المسلم الموحد المؤمن إذا ما اتقى الله تعالى، واحسن الظن به، واخذ بالأسباب الموجبة للرزق ولعطاء الله، فإن ذلك بلا ريب سيكون سبباً في جلب الارزاق، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الأخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾ ﴿ سورة الطلاق: ٢-٣ ﴾ ، بل ان تقوى الله واستغفاره سبب في نزول البركات في

المال والبنين، قال تعالى: ﴿ **فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا** ﴾

﴿ سورة نوح: ١٠-١٢ ﴾. ونخلص من ذلك كله الى ما يأتي:

أولاً: ان بسط الرزق أو تضييقه ليس بالضرورة أنْ يعني محبة الله لمن بسط عليه رزقه، بل ربما كان ذلك امتحاناً واستدراجاً.

ثانياً: ينظر إلى حال الشخص -كما في الظاهر- فإن كان ظاهره -والله اعلم بالسرائر- صاحب تقوى وايمان، فربما كان له علاقة ببسط الرزق.

ثالثاً: التقوى والاستغفار سبب من اسباب اجتلاب الأرزاق من الرزاق الكريم، مع الأخذ بالأسباب، لان الإسلام دين عقل وعلم وعمل.

رابعاً: لما كان الله تعالى هو خالق الكافر والمؤمن، فلا بد أن يرزق هذا ويرزق هذا في الدنيا، لأن الدنيا تعطى للمؤمن وتعطى للكفار، بخلاف الآخرة.

الخاتمة والنتائج

بعد الفراغ -بحمد الله ومنِّه- من هذه الجولة التي أمضيناها في (**سياقات العطاء في القرآن الكريم**)، خلص البحث على مجموعة من النتائج، يمكن إيجازها بما يأتي:

١. عبر القرآن الكريم عن معنى العطاء بالفاظ شتى أو مشتقاتها، منها :- أعطى، رزق، أنعم، وهب، أنفق، تصدق) وأكثرها استعمالاً في القرآن الكريم (رزق، أنعم، أنفق).

٢. أن أوسع الأفعال دلالة على معنى (العطاء) واشملها (رزق)، في حين استعمل الفعل (أنفق) في سياق معنى الطاعة كالزكاة والصدقة، فضلاً عن الفعل (أصّدق).

٣. انقسم مفهوم (العطاء) في القرآن على قسمين رئيسين، الأول من حيث المُعطي: انقسم الى عطاء الله لعباده، وعطاء العباد للعباد بصنوفه، والثاني من حيث زمن العطاء: انقسم إلى عطاء دنيوي وعطاء أخروي.

٤. دلت آيات العطاء في القرآن الكريم على ان المعطي الحقيقي، ومسبب اسباب العطاء والرازق الأول هو الله تعالى، وكل من عداه فهم مسخرون لإيصال نعمة الله إلى عباده.

٥. مثّل العطاء –في بعض اقسامه– ركناً ركيناً من اركان الإسلام، وجانباً مهماً من جوانب التقوى والطاعة.

٦. عناية التشريع الإسلامي بهذا الجانب من جوانب الحياة، حتى عُدَّ من أهم الطاعات، ولهذا كانت نظرته إليه نظرة شاملة، فوضع التشريعات اللازمة، التي ان طبقت على وجه صحيح وشفاف، فستضمن قيام اقتصاد اسلامي قوي، لا مكان للفقر والفقراء فيه، ولا مكان للبطالة التي تقتل إنسانية الإنسان، ذلك ان الإسلام يكره البطالة ويحاربها.

٧. ليست هناك علاقة تلازمية بين بسط الرزق ومحبة الله عبده، فربما كان العبد عاصياً فاجراً، إلا انه ذو بسطة في الرزق استدراجاً له –كما مر– وربما يكون العبد من اشد الناس طاعة، إلا انه مع ذلك يعاني من ضيق في الرزق، ابتلاءً وامتحاناً.

٨. ومن الأسباب الجالبة لعطاء الله ورزقه الطاعة والاستغفار، وملازمة الاستغفار، لهذا فعلى من يعاني من ضيق في الرزق، ان يتلفت إلى طاعة أو يلازم استغفاره.

٩. لما كان الله تعالى خالق الكون وخالق الكافر والمؤمن، فهو سبحانه يرزق المؤمن والكافر، وكفر الكافر لا يقتضي قطع الارزاق عنه ما دام في هذه الحياة، لان الدنيا جعلها الله للكافرين والمؤمنين، بخلاف الآخرة.

الهوامش

(١) شرح المعلقات السبع/١٧.

(٢) ديوان امرئ القيس: ١ /٤.

(٣) الامثال: لأبي عبيد بن سلام باب المثل في السلامة في ترك الانسان ما لا يعنيه: ١/٣٩.

(٤) مقاييس اللغة، ابن فارس/٧٦٠؛ وينظر: تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، ٢/١٢٩.

(٥) ينظر: مختار الصحاح/٢٢٥.

(٦) المفردات في غريب القرآن، الراغب الاصبهاني/٣٣٨.

(٧) ينظر: المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ٣٨٢-٣٨٤.

(٨) مقاييس اللغة، ٣٨١.

(٩) المفردات في غريب القرآن، ص١٩٤.

(١٠) ينظر: المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم: ٢٤٥.

(١١) مقاييس اللغة، ص٩٩٧.

(١٢) المفردات في غريب القرآن، ص٤٤٩.

(١٣) مقاييس اللغة/ ١٠٦٧.

(١٤) ينظر: المعجم المفهرس لالفاظ القرآن/ ٨٥٧.

(١٥) الحجة في القراءات السبع:١/٢٣٦.

(١٦) المفردات في غريب القرآن، ص٥٣٣.

(١٧) ينظر: الكشاف، الزمخشري، ٢/١٥.

(١٨) ينظر: التحرير والتنوير، ١١/٢٥.

(١٩) التفسير الكبير، الرازي، ٨/٦٥.

(٢٠) تفسير القرآن العظيم، ١/٨٥؛ وينظر: التحرير والتنوير، ١٣/٩٦.

(٢١) ينظر: تفسير الكشاف، ٢/٣٥؛ والتحرير والتنوير، ١٣/٩٧.

(٢٢) تفسير القرآن العظيم، ٣/١٥٦.

(٢٣) اعراب القرآن وبيانه، ٦/٢٠٠.

(٢٤) الاعراب المفصل لكتاب الله المرتل، ٤/١٠٤.

(٢٥) ينظر: زاد المسير، ٥/٢٩١؛ وتفسير الجلالين، ١/٤٠٩-٤١٠.

(٢٦) ينظر: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ابن القيم، ١١٧.

(٢٧) اعراب القرآن وبيانه، ٦/٢٠١.

(٢٨) الاعراب المفصل لكتاب الله المرتل، ٧/١٠٤.

(٢٩) النكت والعيون، ٥/١٠٠-١٠١.

(٣٠) نفس المصدر.

(٣١) ينظر: تفسير القرطبي، ١٥/٢٠٦-٢٠٧.

(٣٢) ينظر: تفسير اللباب، ١/٣٢٤.

(٣٣) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٢١/٢٠٥.

(٣٤) ينظر: اعراب القرآن للخازمي، ١/٣٠٣.

(٣٥) ينظر: النكت والعيون، ٥/١٠١.

(٣٦) ينظر: اعراب القرآن للخازمي، ١/٣٠٣.

(٣٧) ينظر: تفسير اللباب، ١/٣٢٤.

(٣٨) ينظر الكشف والبيان، ٦/٣٨١.

(٣٩) الجامع لأحكام القرآن، ٢٠/٨٢؛ وينظر: زاد المسير، ٩/٤٨.

(٤٠) ينظر: جامع البيان في تفسير القرآن ١/٣٦.

(٤١) الجامع لاحكام القرآن، ٨/١٦٦.

(٤٢) ينظر: جامع البيان في تفسير القرآن، ٣٦/١.

(٤٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، ١٠٠/١.

(٤٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ٥٩/١.

(٤٥) الجامع لأحكام القرآن، ٢٥/٣.

(٤٦) معجم مقاييس اللغة، ٥٦٥.

(٤٧) المفردات في غريب القرآن، ٢٧٨.

(٤٨) ينظر: تفسير ابن كثير، ٥١٨/٤.

(٤٩) الجامع لأحكام القرآن، ٨٢/٢٠-٨٣؛ وينظر: تفسير القرآن العظيم، ٥١٩/٤؛ والدر المنثور، ٥٣٦/٨.

(٥٠) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ٣٩٠/٤.

(٥١) ينظر: تفسير الكشاف، ٣٨٥/٤.

(٥٢) ينظر تفسير الكشاف، ٣٨٥/٤؛ والتحرير والتنوير، ١٥٨/٣؛ والتفسير الكبير، ٧٥/٣.

(٥٣) ينظر: التحرير والتنوير، ١٦٧/٣٠.

(٥٤) الجامع الصحيح المختصر، ١٩٠٠/٤

(٥٥) ينظر: صحيح البخاري، ٣١٢/٣؛ وسنن الترمذي، ٣٣٦١.

(٥٦) سنن الترمذي، ٣١١٤.

(٥٧) صحيح مسلم، ٣١٦/٤.

(٥٨) ينظر: التحرير والتنوير، ١٠٣/٣٠

(٥٩) جامع البيان، ١٢/١٢٠-١٢١.

(٦٠) تفسير البغوي، ٢/٤٠٢-٤٠٣.

(٦١) جامع البيان، ١٢/١٢٠-١٢١.

(٦٢) جامع البيان، ١٥/٦٠-٦١ .

المصادر والمراجع

بعد

القرآن الكريم

١. اعراب القرآن وبيانه، محي الدين درويش، دار الارشاد للشؤون الجامعية، حمص – سورية، (دار اليمامة – دمشق – بيروت)، (دار ابن كثير – دمشق/ بيروت) ط٤.

٢. الاعراب المفصل لكتاب الله المرتل، بهجت عبد الواحد صالح، دار الفكر للنشر والتوزيع.

٣. تاج اللغة وصحاح اللغة العربية (صحاح الجوهري)، إسماعيل بن حماد الجوهري، مطبعة العامرة، ١٢٩٢هـ.

٤. التحرير والتنوير، محمد بن طاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر – دار الجماهيرية للنشر والتوزيع.

٥. تفسير الجلالين، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي، ١٣١٢هـ.

٦. تفسير القرآن العظيم، ابو الفداء اسماعيل بن كثير، تصحيح: الشيخ خليل الميس، دار المعرفة–بيروت.

٧. التفسير الكبير، الرازي، مطبعة عبد الرحمن محمد بميدان الأزهر، مصر، ط١.

٨. تفسير الكشاف، (الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل)، ابو القاسم جار الله محمد بن عمر الزمخشري، طهران،تفسير ابن كثير، ابو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، المحقق: محمود حسن ، دار الفكر، الطبعة الجديدة ١٤١٤هـ–١٩٩٤م.

٩. تفسير القرطبي، محمد بن احمد بن ابي بكر فرح القرطبي ابو عبد الله ، دار احياء التراث العربي، لبنان ١٤٠٥هـ–١٩٨٥م.

١٠. تفسير اللّباب، ابو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي، المتوفى بعد سنة ٨٨٠هـ، دار الكتب العلمية بيروت.

١١. تفسير الفخر الرازي، محمد بن عمر بن الحسين الرازي الشافعي المعروف بالفخر الرازي، دار احياء التراث العربي.

١٢. جامع البيان في تفسير القرآن، ابو جعفر محمد بن حرير الطبري، دار المعرفة، بيروت.

١٣. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي ابو جعفر الطبري، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى.

١٤. الجامع لأحكام القرآن، ابو عبد الله محمد بن احمد الانصاري القرطبي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، ط٣، مصور عن دار الكتب المصرية، ١٣١٧هـ–١٩٦٧م.

١٥. الجامع الصحيح: سنن الترمذي، محمد بن عيسى ابو عيسى الترمذي السلمي، دار احياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: احمد محمد شاكر وآخرون، ٥/٤٤٩.

١٦. الجامع الصحيح المختصر، محمد بن اسماعيل ابو عبد الله البخاري الجعفي، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا استاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة، جامعة دمشق، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧.

١٧. الحجة في القراءات السبع، الحسين بن أحمد بن خالويه ابو عبد الله، دار الشروق، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠١، تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم ١/٢٣٦.

١٨. الدر المنثور في التفسير المأثور، جلال الدين السيوطي، مصر، مطبعة الميمنة، ١٣١٤هـ.

١٩. زاد المسير في علم التفسير، للامام ابي الفرج جلال الدين بن عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، ط١، سنة ١٣٨٥هـ، المكتب الاسلامي للطباعة والنشر، دمشق.

٢٠. سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، مطبعة مصطفى البلبي الحلبي.

٢١. شرح المعلقات السبع، الزوزني، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٢٢. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ-١٩٨٧م.

٢٣. صحيح البخاري، ابو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري، دار الفكر، بيروت.
٢٤. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد الباقي.
٢٥. الكشف والبيان، ابو الحسن احمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي النيسابوري، دار احياء التراث العربي، بيروت–لبنان، ١٤٢٢هـ–٢٠٠٢م.
٢٦. مختار الصحاح، محمد بن ابي بكر بن عبد القادر الرازي، دار الرسالة، الكويت، ١٤٠٣هـ–١٩٨٣م.
٢٧. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم بحاشية المصحف الشريف، وضعه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤١٧هـ–١٩٨٦م.
٢٨. المفردات في غريب القرآن، ابو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصبهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت.
٢٩. مقاييس اللغة، ابو الحسين احمد بن فارس، اعتنى به: د. محمد عوض مرعب، فاطمة محمد اصلان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ–٢٠٠١م.
٣٠. النكت والعيون، ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، تحقيق: السيد عبد المقصود بن الرحيم.